تقديم

الشيخ أبي محمد عبد الحميد الحجوري حفظه الله

والشيخ أبي عاصم عبد الله الدبعي حفظه الله

مقدمة مفيدة في دراسة

كتاب التوحيد

وشيء من أصول التعلم وآدابه

إعداد

أبي عبد الله مقداد بن علي بن محمد الهندي

غفر الله له ولوالديه

مقدمة مفيدة في دراسة

كتاب التوحيد

❁ وشيء من أصول التعلم وآدابه ❁

إعداد: أبو عبد الله مقداد بن علي بن محمد الهندي

غفر الله له ولوالديه

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ

أبي محمد عبد الحميد الحجوري الزعكري حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين أما بعد:

فقد طالعت الرسالة الموسومة ب (مقدمة مفيدة في دراسة كتاب التوحيد) لأخينا أبي عبد الله مقداد الهندي فرأيته قد وضع فيها جملا مفيدة في باب العلم والدعوة إلىٰ العمل فجزاه الله خيرا ونفع به وبكتاباته.

أبو محمد عبد الحميد الزعكري

٢١/ رجب/ ١٤٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ

أبي عاصم عبد الله الدبعي حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين أما بعد:

فقد قرأت رسالة أخينا الداعي إلىٰ الله صاحب الخلق الطيب مقداد بن علي بن محمد الهندي حفظه الله مسماه - **مقدمة مفيدة على كتاب التوحيد**[١] للمجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي عليه رحمة الله فرأيتها رسالة مختصرة طيبة نافعة احتوت علىٰ نقولات لأئمة معروفة سلفيتهم وغيرتهم علىٰ دين. فأسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها وسامعها في الدارين إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أبو عاصم عبد الله بن محمد الدبعي

الأحد ٧ رجب ١٤٤١ هـ

---

[١] بعد ذلك عدلنا العنوان إلى: *مقدمة مفيدة في كتاب التوحيد - وشيء من أصول التعلم وآدابه*

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحبه ربنا ويرضاه
والصلاة والسلام علىٰ رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن
محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

مواصلة لسلسلة دروس التوحيد والعقيدة للبادئين في دار القرآن والحديث بحصوين ولرغبة بعض إخواننا في دراسة **كتاب التوحيد** أحببت أن أجمع مقدمة جامعة نافعة بإذن الله لدراسة كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مع بعض النصائح والتوجيهات والأسباب المعينة علىٰ طلب العلم من كلام علمائنا لاستفادة نفسي أولا ثم لإخواني راجيا من الله أن يجعل هذا عملا صالحا خالصا مباركا ليكون في ميزان حسناتنا ومغفرة ذنوبنا ورفع درجاتنا وليقربنا إلىٰ الجنة وينجينا من النار ولو كان عملا يسيرا.

إن البادئ في طلب العلم إذا وجد من يعينه ويحثه في سيره في طلب العلم فهذا من سعادته وتوفيقه من الله سبحانه وتعالىٰ. كما قال الإمام أيوب السختياني: "إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله

عز وجل لعالم من أهل السنة." وكيف إذا كان معلمه عالما حاذقا محدثا مفسرا وذو خلق وتواضع: هذا والله توفيق عظيم.

نشكر الله شكرا جزيلا ونحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحبه ويرضاه لتوفيقه لنا أن يسر لنا في هذا الدار هذا الشيخ المبارك أبا عمرو عبد الكريم بن أحمد العمري الحجوري هو غني عن التعريف: صاحب تفسير "نعمة المنان" و "الجمع بين الصحيحين" وغير ذلك من الجهود الطيبة النافعة.

لما كتب لي مقدمة علىٰ رسالتي - **ملخص شروحات ثلاثة الأصول**

قلت له، هل أنا مستحق لهذا، فقال لي: "واصل يا مقداد واصل..."

والله حثني هذا القول المبارك – وكذلك نصائحه التي نسمع أثناء دروسه الماتعة، بعد ما اطلع علىٰ هذه المقدمة شجعني أن أكمل شرح كتاب التوحيد، فقال لي "إذا أكملت الكتاب أقدم لك" نسأل الله التوفيق والإعانة في مزيد أعمال الخير، اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. نسأل الله أن يجعل في أقواله وأفعاله بركة ونفعا للأمة

الإسلام ويعينه لمزيد طاعته ويبارك في عمره ويصلح أهله وألاده ويغفر ذنوبه ويجعله أهلا للفردوس الأعلىٰ.

وكذلك نشكر شيخنا أبا عاصم عبد الله الدبعي حفظه الله تعالىٰ لإيتائه من وقته الثمينة للقراءة عليه شرح ملخص لكتاب التوحيد للعلامة الفوزان حفظه الله تعالىٰ، بدأنا القراءة بتاريخ (١٣-شوال-١٤٣٩)انتهينا منها في (١٠-رجب-١٤٤١). جزاه الله خير الجزاء لصبره علىٰ طلابه و عونه لهم، نسأل الله أن يبارك في وقته وعلمه و أولاده ويبارك في جميع من يقوم علىٰ دور الحديث، ونسأل الله أن يرحم جميع علماء أهل السنة الذين قد سبقونا في هذا السير ويحفظ مشايخنا جميعا والله ولي ذلك القدير والحمد لله رب العامين.

❀ ❀ ❀

فصل

أصول وآداب طالب العلم

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان، علمه البيان، علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله وكفىٰ بالله شهيدا، أما بعد فإن طلب العلم هو أول واجب علىٰ العبد قبل العمل، قال تعالىٰ: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) [سورة محمد: ١٩] قال الإمام البخاري رحمه الله باب العلم قبل القول والعمل وذكر الآية السابقة.وبدأ الله بالعلم قبل القول والعمل، لأن العلم هو الأساس الذي يبنىٰ عليه القول والعمل، فعمل بدون علم ضلال، كما أن العلم بدون عمل أيضا ضلال، ومغضوب علىٰ عالم لا يعمل بعلمه، ولهذا قال سبحانه وتعالىٰ معلما عباده في آخر سورة الفاتحة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) [سورة الفاتحة: ٧] فالمنعم عليهم هم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، والمغضوب عليهم هم الذين أخذوا العلم وتركوا العمل، والضالون هم الذين أخذوا العمل وتركوا العلم، فأنت تسأل الله في كل ركعة حينما تقرأ

هذه السورة العظيمة سورة الفاتحة أن يهديك طريق المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجنبك طريق المغضوب عليهم، وهم العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، وطريق الضالين وهم الذين يعملون بدون علم، وهذا هو الذي بعث الله رسوله صلىٰ الله عليه وسلم به، أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق.

فالهدىٰ هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح، فالرسول صلىٰ الله عليه وسلم بعث بالعلم النافع والعمل الصالح، وهما قرينان لا يفترقان، العلم والعمل قرينان لا يفترقان، ولهذا حث الله سبحانه وتعالىٰ حث عباده علىٰ طلب العلم والتفقه في الدين، قال تعالىٰ: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) [سورة التوبة: ١٢٢] فلولا نفر هذا حث من الله سبحانه وتعالىٰ لعباده، بأن تنفر طائفة لطلب العلم والتفقه في دين الله، يطلبون العلم في أي مكان يسافرون إليه في مكانه أينما وجدوه فيتفقهون في دين الله، فيحصلون علىٰ بشارة النبي صلىٰ الله عليه وسلم لقوله من يرد الله به خيرا يفقه في الدين.

فهؤلاء من الله عليهم بهذه الميزة لأنهم سافروا في طلب العلم في أماكنه من أهل العلم وتفقهوا في دين الله، ثم إذا تفقهوا في دين الله ورجعوا إلىٰ بلادهم وأهليهم فإنهم ينذرونهم ويعلمونهم هذا العلم الذي تحملوه، ويكونون دعاة إلىٰ الله علىٰ بصيرة ،عاملين بعلمهم، وداعين إليه، هذه طريقة أهل النجاة، وأهل الفلاح، وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم من (سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلىٰ الجنة) وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، فالذي يسعىٰ في طلب العلم ويسلك طريقه، فإنه يسهل الله طريقه إلىٰ الجنة، وكفىٰ بهذا فخرا وعزا في الدنيا والآخرة.

بل إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر والعلم لا يحصل عفوا بدون طلب، لابد من طلب العلم، ولا يحصل عفوا للإنسان أو إلهاما أو تلقائيا كما يقول أهل التصوف، وإنما العلم يحتاج إلىٰ طلب وسعي في تحصيله وصبر في تلقيه، كذلك العلم لا يؤخذ من الكتب وحدها، لا يؤخذ العلم عن المتعالمين، الذين لم يتفقهوا في دين الله، غاية ما يكون أنهم يقرؤون في الكتب أو يحفظون شيئا من النصوص ولا يفقهون معناها ولا يتلقونها عن أهل

العلم، فهذه طريقة ضاره، لأن العلم لا يؤخذ إلا عن أهل العلم بالتلقي عن العلماء جيلا بعد جيل إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمن أصول التعلم وأساسات التعلم هذا الأمر أنه يؤخذ عن العلماء الربانيين العلماء المعروفين بالعلم الذين تحملوه عن مشائخهم وهم يحملونه لطلابهم ويتوارثونه بينهم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فهذا من أصول طلب العلم الرحلة إلىٰ العلماء، والتماس العلماء في أي مكان حتىٰ يؤخذ عنهم العلم، وهذا هو الطريق الذي من سلكه سهل الله له به طريقا إلىٰ الجنة، ومن أصول التعلم كذلك المهمة أن الإنسان لا يبدأ العلم من فروعه وأعلاه، وإنما يبدأ العلم من الأساس، شيئا فشيئا، ويتلقاه شيئا فشيئا، من الكتب المختصرة في كل فن حفظا وفهما، علىٰ أيدي العلماء، فلا يقرأ ويبدأ في المطولات من الكتب، ولا يبدأ بكتب الخلاف، والأقوال، وإنما يؤخذ العلم شيئا فشيئا، ويتدرج فيه شيئا فشيئا، والعلم لا يؤخذ دفعة واحدة، لا يؤخذ إلا عن طريق التدرج شيئا فشيئا.

كذلك من أصول طلب العلم، أن طالب العلم لا يقتصر علىٰ فن واحد، كأن يقتصر علىٰ فن في الفقه مثلا أو يقتصر علىٰ فن الحديث

مثلا أو فن التفسير، وإنما يأخذ من كل علم بمختصر مفيد، لأن العلوم يرتبط بعضها ببعض، فلابد أن طالب العلم أول شيء يقرأ القرآن، ويحفظ القرآن، أو يجيد تلاوته من غير حفظ فالأساس هو كتاب الله سبحانه وتعالىٰ، ويقرأ ما تيسر من تفسير القرآن حتىٰ يفهم الآيات، ولا يقرأها علىٰ نفسه، وإنما يقرأ علىٰ أهل العلم، وأهل التفسير، يتلقىٰ التفسير عن المفسرين المعروفين بذلك.

ثم أيضا يقرأ الحديث، يقرأ في الحديث حفظا وفهما، علىٰ أيدي علماء الحديث، المعروفين به، ثم أيضا يقرأ في الفقه، وهو الأحكام المستنبطة من الكتاب والسنة، هذا هو الفقه الأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة، يقرأ أيضا في كتب النحو، لأن القرآن والسنة نزلا بلغة العرب، فلا بد أن يقرأ في النحو، حتىٰ يعرف معاني الآيات والأحاديث، ويعرف أيضا روابط الكلام من الناحية اللغوية، حتىٰ يسلم من اللحن والخطأ، ولأن علم النحو يعين علىٰ فهم النصوص، كذلك كل فن له أصول وقواعد، هناك في الحديث مصطلح الحديث، ضوابط الحديث الصحيح من الحسن من الضعيف من الموضوع، لابد أن تعرف ولو مختصرا في مصطلح الحديث، كذلك لابد من مختصرا في أصول الفقه، وقواعد الفقه، تقرأه علىٰ عالم من

علماء الأصول، كذلك لابد من مختصر في أصول التفسير، لأن التفسير له أصول، وله منهج، وهذا ما يسمىٰ بأصول التفسير، فتقرأ في أصول التفسير من المختصرات في ذلك، هذه مفاتيح العلوم، والعلم يؤتىٰ من بابه لا يؤتىٰ من فرعه (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) [سورة البقرة: ١٨٩].

فكل علم له باب لابد أن تدخل من هذا الباب، وهذه الأبواب هي المختصرات، والحمد لله العلماء رحمهم الله اعتنوا بهذه المختصرات فاختصروها للطلاب وضبطوها نثرا ونظما، حتىٰ تحفظ وتشرح لهم علىٰ أيدي العلماء، وهذه العلوم مترابطة كما ذكرنا، علم الفقه مرتبط بعلم التفسير وعلم الحديث وعلم النحو فهي مترابطة كل علم مرتبط بالعلم الآخر، فلذلك لا يقتصر طالب العلم علىٰ فن واحد.

وهذه المختصرات سهلة لمن وفقه الله، وتدرج معها، شيئا فشيئا علىٰ أيدي أهل العلم، تقرأ علىٰ العلماء في حلق العلم في المساجد، أو في دور العلم المعروفة، العلم لا يطلب سرا، العلم علانية، ما يطلب سرا في جلسات سرية أو يطلب في استراحات أو في أمكنة خفية، وإنما يطلب العلم علانية ويستفيد منه الحاضرون من العوام وغيرهم،

فالعلم يعلن ولا يسر، لأن الله أنزله للناس، ولم ينزله لطائفة خاصة، فلابد من أن يكون طلب العلم علانية في المساجد ، فهذه أصول طلب العلم .

ويقول العلماء من ضيع الأصول حرم الوصول، إذا ضيعت هذه الأصول وهجمت علىٰ العلم هجوما من غير طريقه، فإنك تحرم إياه، من ضيع الأصول حرم الوصول، فيجب علىٰ طالب العلم أن يسير علىٰ هذه الأصول، ويتلقىٰ العلم من أصوله ومبادئه، لا يتلقاه من فروعه، فإن هذا يضيعه ولا يحصل علىٰ شيء، كذلك لا بد لطالب العلم أن يصبر، لا بد لطالب العلم أن يصبر علىٰ مشقة الطلب، وعلىٰ طول المدة، يصبر ويسير مع طريق العلم ولو طال ولا يضجر ولا يمل.

اطلب العلم ولا تضجرا فآفة الطالب أن يضجرا

ألم تر الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

فلا تيأس أو تستصعب طلب العلم، أو تستطيل مدته، فاصبر وأنت علىٰ أجر، طالب العلم تستغفر له الملائكة تضع له أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع.

ولا بد في طلب العلم من المشقة، ولا بد من التحمل، ولابد من الصبر، ومن لم يذق ذل التعلم ساعة، تجرع كأس الجهل طول حياته، فعليك أن تصبر وعليك أن تواصل الطلب، ولا تمل، حتىٰ تبلغ الغاية بإذن الله، ومن سار علىٰ الدرب وصل، فهذه نبذ في كيفية طلب العلم، ثم أيضا فيه ناحية مهمة تعينك علىٰ طلب العلم وتنمي معلوماتك وهي العمل، العمل بما علمك الله، فكل ما تعلمت شيئا من العلم، تعمل به، حتىٰ يزداد علمك وتكون فيه بركه، ويكون فيه خير، وفىٰ الحكمة : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم.

والله عز وجل يقول: (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [سورة البقرة: ٢٨٢] فعليك بالعمل بما تتعلمه، ولا تأخذ العلم وتخزنه بدون عمل، إن هذا علم لا بركة فيه، وهو حجة عليك يوم القيامة، فعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، والناظم يقول : (وعالم بعلمه لم يعملاً معذب من قبل عباد الوثن) لأنه في يوم القيامة أول من تسعر بهم النار يوم القيامة عالم لا يعمل بعلمه، هو أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، فالأمر مهم جدا، وعلىٰ طلبة العلم أن يأخذوا العلم من أصوله ومبادئه ومن أهله وأن يعملوا به وأن يعلموه للناس (وَإِذَ أَخَذَ

اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ) [سورة آل عمران: ١٨٧].

فعلىٰ طالب العلم أن يعمل أولا بعلمه ثم يعلمه للناس وينشره في الناس، وفىٰ الحديث **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** ، وخير هذه الثلاث هو العلم الذي ينتفع به، لأن الصدقة الجارية التي هي الوقف قد ينقطع وقد يخرب، الولد الصالح يموت، لكن العلم يستمر نفعه لصاحبه ما بقي علمه في طلابه وفي مؤلفاته يبقىٰ علمه ويجرىٰ أجره عليه وهو ميت، فالعلم فيه بركه وفيه خير، لكن لابد أن يؤخذ العلم من أصوله وعلىٰ قواعده وعن أهله، ولا بد أن يثبت وينمىٰ بالعمل الصالح، علىٰ طالب العلم أن يخلص النية لله في طلبه للعلم، ولا يطلب العلم للرياء والسمعة، ولا يطلب العلم ليقال هو عالم، أو يطلب العلم للدنيا وللوظيفة الدنيوية، وإنما يطلب العلم لوجه الله سبحانه وتعالىٰ.

لأن طلب العلم عمل صالح والنبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوىٰ) فيخلص النية لله عز وجل في طلبه للعلم، أما إن كان يطلب العلم لأجل أن يمدح به فإنه جاء في

الحديث (أنه يؤتىٰ بالعالم يوم القيامة فيقول الله له ماذا عملت فيقول يا رب تعلمت فيك العلم وعلمته فيقول الله كذبت وإنما تعلمت ليقال هو عالم وقد قيل ثم يؤمر به إلىٰ النار يسحب إلىٰ النار) ولعياذ بالله كذلك لا يطلب العلم من أجل طمع الدنيا وإنما يطلب العلم طمعا في ثواب الله طمعا في الأجر والثواب يطلب العلم من أجل أن ينتفع وينفع، أما إذا طلبه لأجل الوظيفة أو لأجل المال فالله جل وعلا قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها يعنىٰ يريدها بالعمل الصالح أو طلب العلم (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة هود: ١٥].

العلم أشرف من ذلك أشرف من الدنيا وما فيها، فيطلبه لوجه الله يطلبه للعمل به يطلبه للخروج من الجهل.

كذلك: من أصول طلب العلم، أن يبدأ الطالب بعد كتاب الله، يبدأ بعلم العقيدة علم التوحيد يبدأ بعلم التوحيد فيعرف التوحيد ويعرف الشرك يعرف التوحيد لأجل أن يعمل به، ويعرف الشرك من أجل أن يجتنبه، فيجعل في مقدمة اهتمامه بطلب العلم، علم العقيدة الصحيحة، يجعل في مقدمة اهتمامه الطلابية طلب العقيدة الصحيحة،

من أجل أن يستقيم عليها ويؤسس أعماله كلها عليها، ومن أجل أن يدعو إليها علىٰ بصيرة ويبصر الناس، فيهتم بالعقيدة لا نقول يقتصر علىٰ دراسة العقيدة، لكن يجعلها في أول اهتماماته، ولا يجعلها أمرا ثانويا أو يؤخر طلب العقيدة يؤخره بل يقدمه ويهتم به، لأن العقيدة هي الأساس الذي تبنىٰ عليه سائر أعمال العبد، فيهتم بعقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبادة، ومعرفة ما يضادها مما ينافيها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر ومن النفاق، يعرف هذا جيدا حتىٰ يؤسس علمه علىٰ أساس صحيح، بل يؤسس عمله أيضا علىٰ أساس صحيح،

فهذه جملة من آداب طالب العلم وكيفية الطلب.

فعلىٰ طالب العلم أن يراعىٰ هذا ويهتم به، هذه هي أصول طلب العلم، كذلك كما أشرنا ونشير إلىٰ أن العلم لا يؤخذ عن أي أحد، وإنما يؤخذ عن العلماء الأتقياء، المعروفين به، قال بعض السلف: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. فاختر من العلماء أتقاهم لله عز وجل، وأعلمهم بالله عز وجل، حتىٰ يدلك علىٰ الطريق الصحيح، لا تأخذ العلم عن جاهل، لا تأخذ العلم عن ضال، لا تأخذ العلم عن مبتدع، خذ العلم عن أهله المعروفين به المعروفين بالاستقامة، المعروفين بتقوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وهم كثير ولله

الحمد إذا طلبتهم وبحثت عنهم وحتىٰ إن لم يكونوا في بلدك تسافر إليهم، وتطلب العلم عندهم تتصل بهم واليوم والحمد لله وسائل الاتصال متيسرة، وكذلك وسائل النقل متيسرة، وبسرعة، فليس لنا عذر في التكاسل عن طلب العلم، فإن الله يسر لنا كل سبيل إلىٰ طلب العلم، ولكن الشأن بالاهتمام والتوجه.

نحن كما تعلمون الآن في فتن شديدة ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومستقبل الزمان تزيد هذه الفتن، كما أخبر النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فتن في الدين وفتن في الدنيا وفتن من كل ناحية، ولا مخرج من هذه الفتن إلا بالعلم النافع، من كتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، ولهذا قال صلىٰ الله عليه وسلم لأصحابه **"فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدىٰ تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وفىٰ رواية وكل ضلالة في النار"** فلا عاصم من الفتن إلا بتوفيق الله جل وعلا وهدايته ثم بالعلم النافع المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، وإلا فإذا كنت جاهلا وأحاطت بك الفتن، فإنك لا تدرىٰ كيف تخرج

منها، لكن إذا وفقك الله وصار عندك علم من كتاب الله وسنة رسول الله، فإنك تهتدي إلىٰ الخروج منها بإذن الله سبحانه وتعالىٰ.

وهذا لا يكون إلا بتعلم العلم النافع، لأجل أن تخرج به من الفتن المتلاطمة، التي تعرفونها وربما تزيد ويحدث فتن لا تعرفونها فلا مخرج لنا من هذه الفتن إلا بالعلم النافع والعمل الصالح والاعتصام بحبل الله سبحانه وتعالىٰ (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) [سورة الأنعام: ١٥٣] والنبي صلىٰ الله عليه وسلم كما سمعتم قال (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) فالمخارج من الفتن بأيدينا ولله الحمد، ولكن الشأن في أن نعرفها وأن نتفقه فيها، فالفتن لا ينجي منها إلا التمسك بكتاب الله سبحانه وتعالىٰ وبسنه الرسول صلىٰ الله عليه وسلم وبالسير علىٰ منهج السلف الصالح والقرون المفضلة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم والأئمة المهديين، قال تعالىٰ: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [سورة التوبة: ١٠٠] الذين اتبعوهم، اتبعوا المهاجرين والأنصار من صحابة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم

اتبعوهم بإحسان، أي بإتقان، ولا تتبع السلف الصالح بإحسان إلا إذا تعلمت منهجهم، تعلمت طريقتهم، تعلمت ما يكفي الانتساب، تقول أنا سلفي أنا متبع للسلف وأنت لا تعرف منهج السلف، ولا تعرف مذهب السلف، فهذا لا يغني عنك شيئا، لابد أن يكون إتباعك لهم بإحسان، أي بإتقان، ومعرفة، وعلم بمنهجهم وسيرتهم حتىٰ تسير علىٰ نهجهم.

فصل
الأدب [١]

واعلم أن من مهمات العمل بالعلم،لزوم طالب العلم الأدب،لاسيما مع شيخه ومعلمه ومربيه، وكم من طالب علم أساء الأدب مع شيخه، فحرم التوفيق،ومنع الإستمرار في طلب العلم،وبلوغ مراتب العلم السامية،لأن لزوم الأدب مع الشيخ من شكر المعروف لأهله،المعين علىٰ شكر الله،ومن لم يشكر المعروف لأهله لا يوفق لشكر الله،ومن لم يشكر الله خذل،وفاته عون الله سبحانه وتعالىٰ، ومزيد فضله وإحسانه قال تعالىٰ:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧

وقد حث أهل العلم علىٰ لزوم الأدب مع الشيخ، وإجلاله،ومعرفة حقه،وعلىٰ توقيره،والثقة به،واحترامه. وذكر الخطيب في "اقتضاء العلم العمل" عن يوسف بن الحسين أنه قال: بالأدب تفهم العلم

قال الفيروز آبادي في "بصائر ذوي التمييز" في شروط التعلم: أن يراعىٰ حَقّ أُستاذ التعليم؛ فإِنَّه أَب. سئل الإِسكندر عن تعظيمه معلِّمه أكثر من تعظيمه والده، فقال: هذا أَخرجني إِلىٰ العناءِ والفناء،

---

[١] منهجية طلب العلم

ومعلِّمي دلَّني علىٰ دار الهناء والبقاء.

فاحذر يا طالب العلم من الإخلال بهذا الخلق المهم، فإن اهماله مزلة قدم لطالب العلم، فكم من طالب العلم صار ضحية الأهواء والتحزبات والفتن بعد زمن قضاه في الطلب، حيث أحس من نفسه فهما واستفادة،فإذا به يستطيل علىٰ شيخه، ويظن في نفسه أن قد فاق شيخه فهما وإدراكا،فلا يألو جهدا في سرعة الاستدراك والمعارضة لشيخه، ظانا أنه أصوب رأيا، وأمتن إدراكا، واضعا نفسه بمنزلة شيخه، ونسي أنه كان بالأمس القريب بين يديه متعلما، وربما لا زال ينهل من علومه، ويستضيء بفهومه، وهو يركب هذه الوقاحة، فهون علىٰ نفسك يا من كنت كذلك فإنه:

(ما هلك امرؤ عرف قدره)

ما دام يدري المرأ مقداره فإنه بالعجب لا يهلك

وليس معنىٰ ذلك أن يلبس الطالب ربقة التقليد، وينخلع من ثوب التجرد والاتباع، فإن حفظ الأدب شيء، لا يتعارض مع لزوم الاتباع والخروج من ربقة التقليد، ولا بين الأمرين تناف.

❁ ❁ ❁

فصل

الأسباب المعينة على طلب العلم[١]

*أولا : لزوم تقوى الله:

ومعنىٰ التقوىٰ: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه.

وتقوىٰ العبد ربه: أن يجعل بينه وبين من يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك، بفعل طاعته واجتناب معاصيه.

اعلم رحمك الله: أن أعظم زاد يتزود به طالب لعلم في سيره للوصول إلىٰ مراتب العلم العالية، تقوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، كما قال تعالىٰ:

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ البقرة: ١٩٧

وذكر سبحانه وتعالىٰ أن العواقب الحميدة المرضية لأهل التقوىٰ فقال: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الأعراف: ١٢٨، وقال جل جلاله:

﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ الطلاق: ٢

والعلم الذي هو جماع الخير كله، أعظم مخرج من الجهل، الذي هو جماع الشر كله.

---

[١] مصدر السابق و كتاب العلم للعثيمين رحمه الله

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ الطلاق: ٤

وهذا نص علىٰ أن التوفيق والسداد في كل أمر،ومنه تيسير الاستمرار، وتسهيل الاستفادة،والترقي في طلب العلم،شرطه التقوىٰ.

*قال ابن الوردي في لاميته:

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرئ إلا وصل

قال ابن جماعة رحمه الله:

"فإن العلم ـ كما قال بعضهم ـ صلاة السر وعبادة القلب وقربة الباطن، وكما لا تصلح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها. وإذا طيب القلب للعلم ظهرت بركته ونما، كالأرض إذا طيبت للزرع نما زرعها وزكا، وفي الحديث: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد كله ألا وهي القلب،

وقال سهل: حرام علىٰ قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل."

وقد جعل الله حصول العلم متوقفا علىٰ التقوىٰ، توقف الشيء علىٰ شرطه، بحرف الشرط، فقال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: ٢٩].

{يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} أي يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وهذا يدخل فيه العلم بحيث يفتح الله علىٰ الإنسان من العلوم ما لا يفتح لغيره، فإن التقوىٰ يحصل بها زيادة الهدىٰ، وزيادة العلم، وزيادة الحفظ، ولهذا يذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

ولا شك أن الإنسان كلما ازداد علمًا ازداد معرفة وفرقانًا بين الحق والباطل، والضار والنافع، وكذلك يدخل فيه ما يفتح الله علىٰ الإنسان من الفهم؛ لأن التقوىٰ سبب لقوة الفهم، وقوة يحصل بها زيادة العلم، فإنك ترىٰ الرجلين يحفظان آية من كتاب الله يستطيع أحدهما أن

يستخرج منها ثلاثة أحكام، ويستطيع الآخر أن يستخرج أكثر من هذا بحسب ما آتاه الله من الفهم. الفتوىٰ سبب لزيادة الفهم.

ويدخل في ذلك أيضًا الفراسة أن الله يعطي المتقي فراسة يميّز بها حتىٰ بين الناس. فبمجرد ما يرىٰ الإنسان يعرف أنه كاذب أو صادق، أو بر أو فاجر حتىٰ أنه ربما يحكم علىٰ الشخص وهو لم يعاشره، ولم يعرف عنه شيئًا بسبب ما أعطاه الله من الفراسة.

*ثانيا: الإخلاص والصدق

قال الشوكاني رحمه الله:

فأول ما علىٰ طالب العلم أن يحسن النية ويصلح طويته ويتصور أن هذا العمل الذي قصد له والأمر الذي أراده هو الشريعة التي شرعها الله سبحانه لعباده وبعث بها رسله وأنزل بها كتبه ويجرد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه كمن يريد به الظفر بشيء من المال أو يصل به إلىٰ نوع من الشرف أو البلوغ إلىٰ رئاسة من رئاسات الدنيا أو جاه يحصله به، فإن العلم طيب لا يقبل غيره ولا يحتمل الشركة... فإن طلب العلم من أشرف أنواع العبادة وأجلها وأعلاها وقد قال الله

سبحانه (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) فقيد الأمر بالعبادة بالإخلاص الذي هو روحها.

قال ابن جماعة رحمه الله: "حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالىٰ والعمل به وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه وتحلية باطنه والقرب من الله تعالىٰ يوم القيامة والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله.

قال سفيان الثوري: "ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي". ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس ونحو ذلك، فيستبدل الأدنىٰ بالذي هو خير. والعلم عبادة من العبادات وقربة من القرب فإن خلُصَت فيه النية قُبِلَ وزكىٰ ونمت بركته، وإن قصد به غير وجه الله تعالىٰ حبط وضاع، وخسرت صفقته وبما تفوته تلك المقاصد ولا ينالها فيخيب قصده ويضيع سعيه. "

***ثالثا: الصبر والاستمرار وتنظيم الوقت والحفاظ عليه**

قال ابن جماعة رحمه الله:

ينبغي علىٰ طالب العلم "أن يبادر شبابه وأوقات عمره إلىٰ التحصيل ولا يغتر بخدع التسويف والتأميل؛ فإن كل ساعة تمضي من عمره لا

بدَلَ لها ولا عوض عنها، ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب وبذل الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل فإنها كقواطع الطريق، ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد عن الوطن؛ لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وكذلك يقال: العلم لا يعطيك بعضه حتىٰ تعطيه كلّك.

وقال " أن يترك العشرة فإن تركها من أهم ما ينبغي لطالب العلم ولاسيما لغير الجنس وخصوصًا لمن كثر لعبه وقلت فكرته؛ فإن الطباع سراقة، وآفة العشرة ضياع العمر بغير فائدة وذهاب المال والعرض إن كان لغير أهل، وذهاب الدين إن كانت لغير أهله.

والذي ينبغي لطالب العلم أن لا يخالط إلا من يفيده أو يستفيد منه فإن شرع أو تعرض لصحبة من يضيع عمره معه ولا يفيده ولا يستفيد منه ولا يعينه علىٰ ما هو بصدده فليتلطف في قطع عشرته من أول الأمر قبل تمكنها فإن الأمور إذا تمكنت عسرت إزالتها، ومن الجاري علىٰ ألسنة الفقهاء: الدفع أسهل من الرفع.

وقال "ولذلك قل من نال من العلم نصيبًا وافرًا إلا من كان في مبادئ تحصيله على ما ذكرت من الفقر والقناعة والإعراض عن طلب الدنيا وعرضها الفاني،"

وقال:" دوام الحرص على الازدياد بملازمة الجد والاجتهاد والمواظبة على وظائف الأوراد من العبادة والاشتغال والإشغال قراءة وإقراء ومطالعة وفكرًا وتعليقًا وحفظًا وتصنيفًا وبحثًا. ولا يضيع شيئًا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة من أكل أو شرب أو نوم أو استراحة لملل أو أداء حق زوجة أو زائر، أو تحصيل قوت وغيره مما يحتاج إليه أو لألم أو غيره مما يتعذر معه الاشتغال، وذلك لأن درجة العلم درجة وراثة الأنبياء، ولا تنال المعالي إلا بشق الأنفس، وفي مقدمة صحيح مسلم عن يحيى بن أبي كثير، قال: لا يستطاع العلم براحة الجسم،وفي الحديث: "حفت الجنة بالمكاره".

ومع ذلك فلا يحمل نفسه من ذلك فوق طاقتها كيلا تسأم وتمل، فربما نفرت نفرة لا يمكنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصدًا وكل إنسان أبصر بنفسه."

رابعا: الحفظ والعمل بالعلم

قال العثيمين رحمه الله:

ينبغي علىٰ طالب العلم الحرص علىٰ المذاكرة وضبط ما تعلمه إما بحفظه في صدره، أو كتابته، فإن الإنسان عرضة للنسيان، فإذا لم يحرص علىٰ المراجعة وتكرار ما تعلمه فإن ذلك يضيع منه وينساه وقد قيل:

العلم صيد والكتابة قيده ... قيِّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتتركها بين الخلائق طالقة

ومن الطرق التي تعين علىٰ حفظ العلم وضبطه أن يهتدي الإنسان بعلمه، قال الله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: ١٧] .وقال: {وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًىٰ} [مريم: ٧٦] .

فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله حفظًا وفهمًا، لعموم قوله: {زَادَهُمْ هُدًىٰ} .

خامسا: ملازمة العلماء

قال العثيمين رحمه الله:

ينبغي علىٰ طالب العلم أن يستعين بالله عز وجل ثم بأهل العلم، ويستعين بما كتبوا في كتبهم؛ لأن الاقتصار علىٰ مجرد القراءة

والمطالعة يحتاج إلىٰ وقت طويل بخلاف من جلس إلىٰ عالم يبين له ويشرح له وينير له الطريق، وأنا لا أقول: إنه لا يُدرَك العلم إلا بالتلقي من المشايخ، فقد يدرك الإنسان بالقراءة والمطالعة لكن الغالب أنه إذا ما أكبّ إكبابًا تامًّا، ورزق الفهم فإنه قد يخطئ كثيرًا ولهذا يقال: من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه.

سادسا: علو الهمة وعدم اليأس

***العلم وعلو الهمة:**[1]

إنّ معالي الأمور وعرة المسالك، محفوفة بالمكاره، والعلم أرفع مقام تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية تتسابق إليها الأمم، فلا يخلص إليه الطّالب دون أن يقاسي شدائد ويحتمل متاعب، ولا يستهين بالشّدائد إلّا كبير الهمّة ماضي العزيمة. وكان سعيد بن المسيّب يسير اللّيالي لطلب الحديث الواحد، ورحل أبو أيّوب الأنصاريّ من المدينة إلىٰ عقبة بن عامر، وهو في مصر ليروي عنه حديثا، فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحلّ راحلته، فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل إلىٰ المدينة راجعا، ولم ينتشر العلم في بلاد المغرب أو الأندلس إلّا برجال

---

[1] نضرة النعيم

رحلوا إلىٰ الشّرق ولاقوا في رحلاتهم عناء ونصبا، مثل أسد بن الفرات، وأبي الوليد الباجيّ، وأبي بكر بن العربيّ.

وخلاصة المقال: تذكير النّبهاء من نشئنا بأن يقبلوا علىٰ العلم بهمم كبيرة، صيانة للوقت من أن ينفق في غير فائدة، وعزم يبلىٰ الجديدان ، وهو صارم صقيل، وحرص لا يشفي غليله إلّا أن يغترف من موارد العلوم بأكواب طافحة، وغوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك ولا طول مسافة الطّريق، وألسنة مهذّبة لا تقع في لغو أو مهاترة.

إنّ عظيم الهمّة يستخفّ بالمرتبة السّفلىٰ أو المرتبة المتوسّطة من معالي الأمور، ولا تهدأ نفسه إلّا حين يضع نفسه في أسمىٰ منزلة وأقصىٰ غاية، ويعبّر عن هذا المعنىٰ النّابغة الجعديّ بقوله:

بلغنا السّماء مجدنا وجدودنا ... وإنّا لنبغي فوق ذلك مظهرا

وإذا كان هذا الخلق لا يقع إلّا علىٰ معالي الأمور فلا عظمة لهمم قوم يبتغون النّهاية في زينة هذه الحياة، ويغرقون في التّمتّع بلذّاتها المادّيّة.

ومن الخطل في الرّأي أن ينزع الرّجل إلىٰ خصلة شريفة، حتّىٰ إذا شعر بالعجز عن بلوغ غايتها البعيدة انصرف عنها جملة، والتحق بالطّائفة

الّتي ليس لها في هذه الخصلة من نصيب، والّذي يوافق الحكمة ويقتضيه حقّ التّعاون في سعادة الجماعة أن يذهب الرّجل في همّه إلىٰ الغايات البعيدة ثمّ يسعىٰ لها سعيها، ولا يقف دون النّهاية إلّا حيث ينفد جهده، ولا يهتدي للمزيد علىٰ ما فعل سبيلا.

***من أين ينشأ عظم الهمة؟:**

يتربّىٰ عظم الهمّة من طريق الاقتداء، أو من طريق تلقين الحكمة وبيان فضل عظم الهمّة وما يكسب صاحبه من سؤدد وكمال، أو من طريق درس التّاريخ والنّظر في سير أعاظم الرّجال، فإنّا لو أخذنا نبحث عن مفاخر أولئك الّذين يلهج التّاريخ بأسمائهم لوجدنا معظم مفاخرهم قائمة علىٰ هذا الخلق الّذي نسمّيه (عظم الهمّة) ، والقرآن يملأ النّفوس بعظم الهمّة، وهذا العظم هو الّذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشّمال، فأتوا علىٰ عروش كانت ظالمة، ونسفوها من وجه البسيطة نسفا ثمّ رفعوا لواء العدل والحرّيّة، وفجّروا أنهار العلوم تفجيرا، وإذا رأينا من بعض قرّائه هممًا ضئيلة ونفوسا خاملة فلأنّهم لم يتدبّروا آياته، ولم يتفقّهوا في حكمه.

*فضل عظم الهمة:

قال الماورديّ- رحمه الله-: اعلم أنّ من شواهد الفضل، ودلائل الكرم: المروءة الّتي هي حلية النّفوس، وزينة الهمم.

ومن حقوق المروءة وشروطها، ما لا يتوصّل إليه إلّا بالمعاناة، ولا يوقف عليه إلّا بالتّفقّد والمراعاة، فثبت أنّ مراعاة النّفس إلىٰ أفضل أحوالها هي المروءة، وإذا كانت كذلك، فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها، إلّا من تسهّلت عليه المشاقّ، رغبة في الحمد، وهانت عليه الملاذّ، حذرا من الذّمّ، ولذلك قيل: سيّد القوم أشقاهم. يسمو هذا الخلق بصاحبه فيتوجّه به إلىٰ النّهايات من معالي الأمور فهو الّذي ينهض بالضّعيف يضطهد أو يزدرىٰ، فإذا هو عزيز كريم، وهو الّذي يرفع القوم من سقوط، ويبدّلهم بالخمول نباهة، وبالاضطهاد حرّيّة، وبالطّاعة العمياء شجاعة أدبيّة. نعم! يورد هذا الخلق صاحبه موارد التّعب والعناء، ولكن التّعب في سبيل الوصول إلىٰ النّهاية من معالي الأمور يشبه الدّواء المرّ فيسيغه المريض كما يسيغ الشّراب عذبا باردا، وعظيم الهمّة قد يشتدّ حرصه علىٰ الشّرف حتّىٰ لا يكاد يشعر بما يلاقيه في سبيله من أنكاد وأكدار.

***مجالات علوّ الهمّة:**

ذكر صاحب كتاب (علوّ الهمّة) أنّ لهذا العلوّ مجالات خمس: طلب العلم، العبادة والاستقامة، البحث عن الحقّ، الدّعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والجهاد في سبيل الله، وسنوجز القول في هذه المجالات كما يلي :

المجال الأوّل: طلب العلم: يتمثّل علوّ الهمّة في طلب العلم في:

١- غيرة علىٰ الوقت أن ينفق في غير فائدة.

٢- عزم يبلىٰ الجديدان وهو صارم صقيل.

٣- حرص لا يشفي غليله إلّا أن يغترف من موارد العلوم بأكواب طافحة.

٤- غوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك، ولا طول مسافة الطّريق.

٥- ألسنة مهذّبة لا تقع في لغو ولا مهاترة لأنّها شغلت بالحقّ فأشغلها عن الباطل.

*وإن من أروع الأمثلة في علو الهمة في طلب العلم،ما ذكره الله سبحانه وتعالىٰ،عن نبيه موسىٰ عليه الصلاة والسلام في رحلته إلىٰ الخضر عليه السلام.

*وقصة سلمان الفارسي ﷺ في قصته الطويلة، التي ذكر فيها مراحله، التي تنقل فيها،بحثا عن الحق والإيمان، بعلو همة،وصدق و عزيمة، لا يعتريها يأس للوصول إلىٰ المقصود، حتىٰ وصل إلىٰ النبيﷺ فآمن وبشر النبيﷺ بالجنة، نال ذلك كله-بعد توفيق الله-بعلو همة، وعدم يأس في الجد، للوصول إلىٰ الغاية والمقصود.

*لقد كان السّلف الصّالح- رضوان الله عليهم- المثل الأعلىٰ في علوّ الهمّة في طلب العلم، وكان علىٰ رأسهم عمر بن الخطّاب، وعبد الله بن عبّاس ومحمّد ابن إدريس الشّافعيّ وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثير، فعمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- كان يتناوب مع جار له من الأنصار النّزول إلىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم، يقول ابن الخطّاب: فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وها هو ابن عبّاس- رضي الله عنهما- يحدّث عن علوّ همّته في طلب العلم فيقول: كان يبلغني الحديث عن الرّجل فاتي بابه وهو قائل ، فأتوسّد ردائي علىٰ بابه، يسفي الرّيح عليّ من التّراب فيخرج فيراني فيقول: يابن عمّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم: ما جاء بك؟

هلّا أرسلت إليّ فاتيك؟. فأقول: لا، أنا أحقّ أن آتيك. أمّا الشّافعيّ فقد وصف حاله مع العلم بقوله:

أسمع بالحرف ممّا لم أسمعه، فتودّ أعضائي أنّ لها أسماعا تتنعّم به ما تنعّمت به الأذنان. وقيل له يوما:

كيف حرصك علىٰ العلم؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذّته للمال، فقيل له: فكيف طلبك له؟ قال:

طلب المرأة المضلّة ولدها ليس لها غيره، أمّا أحمد ابن حنبل فقد حكىٰ عن نفسه «كنت ربّما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمّي بثيابي حتّىٰ يؤذّن النّاس، أو حتّىٰ يصبحوا» . وقال: «لو كان عندي خمسون درهما لخرجت إلىٰ جرير بن عبد الحميد»، وكان من مظاهر علوّ همّتهم في طلب العلم الدّأب علىٰ تحصيله في أقلّ وقت ممكن وها هو الفيروز اباديّ صاحب القاموس يقرأ صحيح مسلم علىٰ شيخه في ثلاثة أيّام، أمّا الحافظ ابن حجر فقرأ صحيح البخاريّ في أربعين ساعة، وصحيح مسلم في أربعة مجالس عدا جلسة الختم . ومن هذه المظاهر أيضا الرّحلة في طلب العلم حتّىٰ لقد كان الواحد منهم يرحل مسيرة شهر في حديث واحد، وكانوا يتحمّلون الفقر والفاقة دون أن يفتّ ذلك في عضدهم، وكانوا لا يكترثون بذلك تمسّكا بمثوبة الصّبر،

وكانوا ينفقون كلّ ما عندهم في سبيل العلم، وها هو يحيىٰ بن معين- رحمه الله تعالىٰ- خلّف له أبوه ألف ألف درهم فأنفقها كلّها علىٰ تحصيل الحديث حتّىٰ لم يبق له نعل يلبسه، وكان ذلك عندهم- كما أخبر ابن الجوزيّ- أحلىٰ من العسل.

يقول- رحمه الله تعالىٰ- لقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقىٰ من الشّدائد ما هو عندي أحلىٰ من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصّبا آخذ أرغفة يابسة وأقعد علىٰ نهر عيسىٰ فلا أقدر علىٰ أكلها إلّا عند الماء .

ومن مظاهر ذلك أيضا سهرهم اللّيالي في طلب العلم وعدم الخلود إلىٰ راحة النّوم، يقول ابن كثير: كان البخاريّ يستيقظ في اللّيلة الواحدة من نومه، فيوقد السّراج ويكتب الفائدة تمرّ بخاطره، ثمّ يطفىء سراجه، ثمّ يقوم مرّة أخرىٰ وأخرىٰ، حتّىٰ كان يتعدّد منه ذلك قريبا من عشرين مرّة. والحكايات في ذلك أكثر من أن تحصىٰ . أمّا مذاكرة العلم ومدارسته فحدّث عنهم ولا حرج، فمن ذلك ما حكاه القطب اليونينيّ عن الإمام النّوويّ من أنّه كان لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار إلّا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتّىٰ إنّه في ذهابه في الطّريق وإيابه يشتغل في تكرار محفوظه أو مطالعة، وإنّه بقي علىٰ التّحصيل- علىٰ

هذا الوجه- ستّ سنين، وكان يقرأ في كلّ يوم اثنىٰ عشر درسا علىٰ المشايخ شرحا وتصحيحا، أمّا همّتهم في الحفظ فيكفي دليلا عليها أنّ الإمام أحمد كان يحفظ ألف ألف حديث. فقيل له: ما يدريك؟ قال: ذاكرته وأخذت عليه الأبواب .

وهذا الزمخشري المعتزلي،مع انحرافه وضلاله،كان عالي الهمة في تحصيل العلم،ومن دلائل ذلك أبياته المشهورة:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لي ** مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ

-إلىٰ أن قال-

وأبيتُ سهرانَ الدُّجا وتبيتهُ ** نَوْماً وَتَبْغي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي

المجال الثّاني: علوّ الهمّة في العبادة والاستقامة: لقد فقه سلفنا الصّالح عن الله أمره، وتدبّروا في حقيقة الدّنيا فاستوحشوا من فتنتها وتجافت جنوبهم عن مضاجعها، وارتفعت همّتهم عن سفاسفها، فلا تراهم إلّا صوّامين قوّامين، وقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة تشيد بعلوّ همّتهم في التّوبة والاستقامة، وقوّة عزيمتهم في العبادة والإخبات.

المجال الثّالث: البحث عن الحقّ: لقد حفل التّاريخ الإسلاميّ بنماذج رائعة من المهتدين الّذين ارتفعت همّتهم في البحث عن الحقيقة الدّينيّة أو البحث عن الدّين الحقّ، وبذلوا في سبيل ذلك النّفس والنّفيس، فصاروا مضرب الأمثال، وحجّة لله علىٰ خلقه أنّ من انطلق باحثا عن الحقّ مخلصا لله تعالىٰ فإنّ الله عزّ وجلّ يهديه إليه ويمنّ عليه بأعظم نعمة في الوجود هي نعمة الإسلام .

المجال الرّابع: علوّ الهمّة في الدّعوة إلىٰ الله: من أعظم ما يهتمّ به الدّاعية هداية قومه، وبلوغ الجهد في النّصح لهم والصّبر علىٰ مشاقّ الدّعوة حتّىٰ تبلغ الغاية الّتي يريد الله أن تبلغها، وقد كان الرّسل الكرام علىٰ رأس قائمة عالي الهمّة في هذا المجال وكان حبيبنا وسيّدنا محمّد صلّىٰ الله عليه وسلّم في ذلك الغاية العظمىٰ، والمثل الأعلىٰ الّذي ينبغي أن يحذو حذوه كلّ داعية إلىٰ الله عزّ وجلّ، إذ لم يكن همّه هداية قومه من قريش أو من العرب فحسب وإنّما خاطب ملوك العالم ورؤساءه كي يدخلوا في دين الله.

المجال الخامس: الجهاد في سبيل الله: لا يحتاج مجال لعلوّ الهمّة ما يحتاجه الجهاد في سبيل الله وذلك لأنّه يتطلّب رجالا وصفهم الله عزّ وجلّ بقوله:

صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (الأحزاب/ ٢٣) .

وقد ضرب المصطفىٰ صلّىٰ الله عليه وسلّم المثل الأعلىٰ في هذا المجال فلم يكن أحد أقرب إلىٰ العدوّ (أي أنّه كان يقاتل في الصّفوف الأماميّة) منه، وكان الصّحابة رضوان الله عليهم مضرب المثل في الشّجاعة اقتداء به صلّىٰ الله عليه وسلّم، وها هو أبو محجن الثّقفيّ يقاتل الفرس يوم القادسيّة حتّىٰ ظنّ بعضهم أنّه ملك.

***سؤل فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله:** يلاحظ ضعف الهمة والفتور في طلب العلم، فما الوسائل والطرق التي تدفع إلىٰ علو الهمة والحرص علىٰ العلم؟

فأجاب رحمه الله ورعاه بقوله: ضعف الهمم في طلب العلم الشرعي من المصائب الكبيرة وهناك أمور لا بد منها:

الأمر الأول: الإخلاص لله عز وجل في الطلب والإنسان إذا أخلص لله في الطلب وعرف أنه يُثاب علىٰ طلبه وسيكون في الدرجة الثالثة من درجات الأمة فإن همته تنشط {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩] .

ثانيا: أن يُلازم زملاء يحثونه علىٰ العلم ويساعدونه علىٰ المناقشة والبحث ولا يمل من صحبتهم ما داموا يعينونه علىٰ العلم.

ثالثا: أن يصبر نفسه بمعنىٰ يحبسها لو أرادت أن تتفلت، قال الله تعالىٰ للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف: ٢٨] . فليصبر؛ وإذا صبر وتعود الطلبة صار الطلب سجية له وصار اليوم الذي يفقد فيه الطلب يومًا طويلا عليه، أما إذا أعطىٰ نفسه العنان فلا، فالنفس أمارة بالسوء والشيطان يحثه علىٰ الكسل وعدم التعلم.

* جاء عند الطبراني في حديث حسن-عن حسين بن علي قال قال رسول صلىٰ الله عليه و سلم إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها . قال المناوي: معالي الأمور وأشرافها هي الأخلاق الشرعية والخصال الدينية.

ومن فترت همته بات دون المنزل،ولم يظفر بالبغية، حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط. ا. هـ.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن علم التوحيد هو أشرف العلوم، وأعلاها قدرا، وأعظمها خطرا، فحاجة العباد إلىٰ هذا العلم فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، فإنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله.

ألا وإنه لا صلاح للعباد، ولا فلاح، ولا نجاح، ولا حياة طيبة، ولا سعادة في الدارين، ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة؛ إلاّ بمعرفة أول مفروض عليهم، والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عزَّ وجل له، وأخذ عليهم الميثاق به، وبه حقَّت الحاقَّة، ووقعت الواقعة، وفي شأنه تُنصب الموازين، وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلىٰ حسب ذلك تقسم الأنوار، ومَنْ لم يجعل الله نورًا؛ فما له مِنْ نور.

وكل الأوامر والنواهي والعبادات والطاعات كلها مؤسسة علىٰ عقيدة التّوحيد، التي هي معنىٰ شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، الشهادتان اللتان هما الركن الأول من أركان الإسلام؛ فلا يصح عملٌ، ولا تقبل عبادةٌ ولا ينجو أحد من النار ويدخل الجنة؛ إلاَّ إذا أتىٰ بهذا التّوحيد، وصحّح العقيدة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله-"من تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم. وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم والدعوةإلىٰ غير الله.

ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموما وخصوصا ولا حول ولا قوة إلا بالله.[1]

ولهذا كان اهتمام العلماء- رحمهم الله- في هذا الجانب اهتماماً عظيماً؛ لأنه هو الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه،

كما يأتي شرحه- إن شاء الله، ثم بعد ما تصح العقيدة فإنه حينئذٍ يُطلب من الإنسان أن يأتي ببقية الأعمال.

---

[1] (مجموع الفتاوى- ١٥/ ٢٥)

ولهذا أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذاً إلىٰ اليمن، قال له: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة" إلىٰ آخر الحديث.

الشاهد منه: "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاَّ الله".

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلاَّ الله؛ فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم علىٰ الله عز وجل".

فدلّ هذا علىٰ أن عقيدة التّوحيد هي الأساس الذي يجب العناية به أولاً وقبل كل شيء، ثم بعدما يتحقق فإنه يتوجه إلىٰ بقية أمور الدين، وأمور العبادات.

مبادئ علم التوحيد[١]

علم التوحيد له مبادئ كبقية العلوم .ولذلك إذا أردت أن تدخل إلىٰ علم من العلوم الشرعية ؛ لابد أن تتعرف علىٰ مبادئ ذلك العلم ؛ لأنها مهمة. وقد جمعها الصبان في قوله:

إن مبادئ كل علم عشرة *** الحد والموضوع ثم الثمرة

ونسبة وفضله والواضع *** والاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى *** ومن درى الجميع حاز الشرف

الحد:

وهو التعريف، فقد عُرف علم التوحيد بعدة تعاريف، ومنها ما ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالىٰ فقال :(**هو العلم الذي يبحث في الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع**)

وعرفه آخر: فقال: (**هو علم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسبة من الأدلة المرضية**)

[١] شرح كتاب التوحيد – للشيخ عبد الباسط الريدي حفظه الله(مختصرا)

وقال آخر :(**هو علم يُقتدر به علىٰ إثبات العقائد الدينية من الأدلة الثابتة**)

أما موضوع علم التوحيد:

فهو الكلام في العقائد فيما يتعلق بحق الله سبحانه وتعالىٰ.

أما ثمرته:

فله ثمار عظيمة منها الحياة الطيبة، والهداية، والعز والتمكين، والنجاة، وولاية الله ودفاعه ونصره.

أما نسبة هذا العلم :

فهو ينتسب إلىٰ العلوم الشرعية، وهو منها بمنزلة الرأس من الجسد.فلا ينتفع صاحب العلوم بالعلوم ؛ إلا إذا علم وعمل بالتوحيد.

أما فضله :

فله فضل كبير وجزيل ؛ وذلك أنه سبب لتكفير الذنوب، وسبب لدخول الجنة ربما بغير حساب ولا عذاب ؛ ولأنه سبب للأمن التام والهداية التامة.

أما واضعه :

فلا شك أن التوحيد جاءت به الرسل من عند الله سبحانه وتعالىٰ ؛ فالله عز وجل هو الذي وضع التوحيد، وأرسل به الرسل .ولكن علم التوحيد من حيث وضعه وتدوينه، كان علىٰ مراحل : مراحل الكتابة والتدوين .ومراحل الاستقرار والثبوت، هذا يرجع إلىٰ أهل العلم . ومن أوائل من صنف في التوحيد كتابا مستقلا : ابن خزيمة رحمه الله تعالىٰ المسمىٰ [كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل]. ومن ذلك أيضا [كتاب التوحيد] لابن مَنْده، وكتاب [الأربعين في دلائل التوحيد] لأبي إسماعيل الهروي .وهناك أيضا [قاعدة في توحيد الإلهية] لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وكذلك أيضا كتب أخرىٰ في هذا الباب. ومن أوائل من صنف ضمنا : البخاري في كتابه [الصحيح] ذكر [كتاب التوحيد] علىٰ وجه الخصوص. وهناك مصنفات عامة في العقيدة معروفة ومشهورة، ذكرت مسائل في توحيد الإلهية.

أما إسم هذا العلم:

الذي هو علم التوحيد سمي بعدة أسماء فمنها: العقيدة والإيمان

والسنة والشريعة والفقه الأكبر وكذلك علم التوحيد.

أما استمداده :

فهو يستمد من الوحي قرآنا وسنة.

أما حكمه :

فحكم تعلمه فرض عين ؛ لأنه سيسأل عنه في قبره ؛ ولأنه أول ما بدأ به رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ؛ ولأنه حق الله الواجب .أما بالنسبة لمجال التفصيل والتدليل والتعليل ؛ فهذا فرض كفاية: مناقشة لحجج الخصوم مثلا، لحجج المبطلين ؛ هذا فرض كفاية. لكن تعلم هذا التوحيد، تعلم ما هو الذي يكون سببا في الوقوع في الشرك، وما هو شرك وما ليس بشرك ؛ هذا فرض عين.

أما مسائله :

فله مسائل كثيرة، مسائل التوحيد ستمر معنا في هذا الكتاب.

وشرفه :

زاد بعضهم هذا المبدأ من مبادئ العلوم ؛ وهو **الشرف** .ويقال:

" إن شرف العلم بشرف المعلوم."

*بعض المسائل المهمة التي ينبغي معرفتها في البدء في هذا الكتاب:

* :هل ورد لفظ التوحيد في الشرع ؟ أي هل ورد كلمة توحيد أم أنها مخترعة ؟

الجواب : نعم ؛ وذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في [الصحيحين] أَ ن رَسُولَ الله صَلىٰ الله عَلَيْه وَسَلمَ لما بَعثَ مُعَاذًا إِلَىٰ اليمن،قال: (**إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب فاليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله**) بل قد جاء في [المعجم الكبير] للطبراني، وفي [تاريخ دمشق] لابن عساكر، من حديث الحارث بن الحارث الغامدي أنه قال: (**قلت لأبي: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء القوم قد اجتمعوا علىٰ صابئ لهم. قال: فنزلنا فإذا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعو الناس إلىٰ توحيد الله عز وجل**) إذ اً فيه التصريح بكلمة" توحيد" ؛ لأن بعضهم يشكك في هذه اللفظة، يقول: ما وردت أصلا في القرآن أو السنة .! يقال : بل قد وردت في السنة النبوية، علىٰ وجه التصريح بها، حديث جابر أيضا: (**فأهل صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم بالتوحيد**)

مسألة: الفرق بين التوحيد والعقيدة:

*هل هناك فرق بين التوحيد والعقيدة ؟

يَعدُّ بعض أهل العلم أن التوحيد والعقيدة شيء واحد .وبعضهم ف رق بينهما بتفريق دقيق فقال : التوحيد أخص من جهة موضوعه، والعقيدة أعم. فالتوحيد من جهة الموضوع يهتم بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .أما العقيدة فإنها تشمل هذه ما هو حق لله سبحانه وتعالىٰ، وحق الرسول وحق الملائكة والكتب واليوم الآخر والقدر ؛ يعني علىٰ وجه العموم .فتشمل العقيدة أركان الإيمان الستة، وبقية المسائل المتعلقة بالعقيدة.

مسألة في أقسام التوحيد:

*ينقسم التوحيد إلىٰ قسمين: توحيد المرسِل، وتوحيد المرسَل.

وأما أقسام توحيد الله علىٰ وجه الخصوص ؛ فهذا ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .ودليل أقسام التوحيد هو التتبع والاستقراء ؛ أن أهل العلم تتبعوا نصوص القرآن والسنة ؛ فوجدوا أن توحيد

الله ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام .كما أن العرب الفصحاء تتبعوا الكلام العربي ؛ فقسموا الكلمة إلىٰ ثلاثة أقسام : إسم وفعل وحرف .وهنا تتبع أهل العلم أقسام توحيد الله ؛ فوجدوها لا تخرج عن ثلاثة : توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .فمن القرآن قالوا : سورة" الفاتحة" تبرهن علىٰ أقسام التوحيد، سورة" الناس" تبين أقسام التوحيد، آية في كتاب الله جمعت أقسام التوحيد:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ مريم: ٦٥. وهذه الأقسام اتفق عليها أهل العلم.

❁ ❁ ❁

التوحيد[١]

فإن التّوحيد هو الأصل في بني آدم، والشرك طارئ ودخيل،

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علىٰ التّوحيد".

وأول ما حدث الشرك في الأرض في قوم نوح لما غلوا في الصالحين، وصوروا صورهم، فآل بهم الأمر إلىٰ أن عبدوهم من دون الله، فبعث الله نبيه نوحًا عليه الصلاة والسلام ينهىٰ عن الشرك ويأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وجاء الرسل من بعده كلهم علىٰ هذا النمط، كما قال تعالىٰ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ}.

وأما الشرك في قوم موسىٰ فحدث عندما اتخذوا العجل، وكان موقف كليم الله موسىٰ وأخيه هارون عليهما السلام معهم ما قصه الله في كتابه.

وأما الشرك في النصارىٰ فحدث بعد رفع المسيح عليه السلام إلىٰ السماء، علىٰ يد اليهودي (بولس) ، الذي أظهر الإيمان بالمسيح مكراً

---

[١] مقدمة إعانة المستفيد و التمهيد(مختصرا)

وخداعـًا، فأدخل في دين النصارىٰ التثليث وعبادة الصليب، وكثيراً من الوثنيات.

وأما الشرك في بني إسماعيل عليه السلام وهم العرب فحدث علىٰ يد عمرو بن لحي الخزاعي، الذي غير دين إبراهيم عليه السلام وجلب الأصنام إلىٰ أرض الحجاز، وأمر بعبادتها.

وأما الشرك في بعض المسلمين فحدث علىٰ يد الشيعة الفاطميين بعد المائة الرابعة، حينما بنوا المشاهد علىٰ القبور، وأحدثوا بدعة الموالد في الإسلام، والغلو في الصالحين.

وكذلك عندما حدث التصوف المنحرف المتمثل بالغلو في المشايخ وأصحاب الطرق.

ولكن الله سبحانه قد تكفل بحفظ هذا الدين بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ يد العلماء المصلحين والدعاة المجددين، الذين يبعثهم الله علىٰ رأس كل مائة سنة، كما في الحديث، فبقي للحق أنصاره وللدين حماته، كما قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله تبارك وتعالىٰ وهم علىٰ ذلك".

ولهذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مقدمة كتابه: الرد علىٰ الجهمية: "الحمد لله الذي جعل في وقت كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم؛ ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويدعون من ضل إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، فكم من ضال قد هدوه، وكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس وأقبح أثر الناس عليهم".

ومن هؤلاء الذين وصفهم الإمام أحمد بهذه الأوصاف العظيمة؟ شيخ الإسلام الإمام المجدد الشيخ: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقد وقف موقفًا عظيمًا، من مواقف هؤلاء الأئمة في مواجهة التغيرات التي حدثت في مجتمعه؛ من انحراف في العقيدة، وانقسام في الحكم، واستشراء للعادات الجاهلية في الحاضرة والبادية، شرك في العبادة، ومخالفات للشرع في الحكم بين الناس، ورواج لسوق الشعوذة والسحر، وتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ رغم كثرة وجود العلماء فيهم؛ المتبحرين في مسائل الفقه الفرعية، لكن العبرة ليست بوجود العلماء ووفرتهم دون أن يكون لهم أثر فعال في الإصلاح،فبنوا إسرائيل هلكوا وفيهم العلماء، فما لم يقم علماؤهم بما أوجب الله عليهم من النصح والإصلاح تسلط عليهم الشيطان.

قال- تعالىٰ-: {وَتَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الأِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}

إنه لما وقف هذا الإمام من مجتمعه المنحرف موقف الصدق والنصيحة؛ خلص هذا المجتمع مما وقع فيه من أسباب هلاكه، مع أنه رجل واحد، ولكن كما قيل:

والناس ألف منهموا كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنىٰ

وهكذا سنة الله لا تتغير، فالأمة لا تنهض من كبوتها ولا تستيقظ من رقدتها إلاّ بتوفيق الله ثم بجهود علمائها المخلصين ودعاتها الناصحين، ورحم الله الإمام مالكًا حيث يقول: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ ما أصلح أولها".

وما امتازت هذه الأمة علىٰ غيرها من الأمم إلا بقيامها بالإصلاح والدعوة إلىٰ الله: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ} {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

هذا الكتاب - كتاب التوحيد - من مؤلفات الإمام المصلح المجدد شيخ الإسلام والمسلمين، محمد بن عبد الوهاب، وهو- رحمه الله- غني عن التعريف؛ لما جعل الله - جل وعلا - لدعوته من أثر ظاهر النفع في جميع أنحاء الأرض: شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، ولا غرو في ذلك فإن دعوته- رحمه الله- إحياء لدعوة محمد بن عبد الله - عليه أفضل الصلاة والسلام-.

وكتاب التوحيد- الذي نحن بصدد شرحه - كتاب عظيم جدا، أجمع علماء التوحيد، علىٰ أنه لم يصنف في الإسلام في موضوعه مثله، فهو كتاب وحيد وفريد في بابه، لم ينسج علىٰ منواله مثله؛ لأن المؤلف - رحمه الله - طرق في هذا الكتاب مسائل توحيد العبادة، وما يضاد ذلك التوحيد، من أصله، أو يضاد كماله، فامتاز الكتاب بسياق أبواب توحيد العبادة مفصلة، مُدَلَّلَةً، وعلىٰ هذا النحو، بتفصيل، وترتيب، وتبويب لمسائل التوحيد، لم يوجد من سبق الشيخ إلىٰ ذلك، فحاجة طلاب العلم إليه، وإلىٰ معرفة معانيه ماسة؛ لما اشتمل عليه من الآيات، والأحاديث، والفوائد.

وقد شبه بعض العلماء هذا الكتاب بأنه قطعة من صحيح البخاري - رحمه الله - وهذا ظاهر، ذلك أن الشيخ - رحمه الله - نَسَج كتابه هذا

نَسْج الإمام البخاري صحيحه من جهة أن التراجم التي يعقدها، تحتوي علىٰ آية وحديث - غالبا - والحديث والآية علىٰ الترجمة، وما بعدها مفسِّرٌ لها، وكذلك ما يسوقه - رحمه الله - من كلام أهل العلم من الصحابة، أو التابعين، أو أئمة الإسلام، هو نسق طريقة الإمام أبي عبد الله البخاري -رحمه الله - فإنه يسوق أقوال أهل العلم في بيان المعاني.

وهذا الكتاب صنفه إمام الدعوة ابتداء في البصرة لمَّا رحل إليها، وكان الداعي إلىٰ تأليف ما رأىٰ من شيوع الشرك بالله - جل جلاله - ومن ضياع مفهوم التوحيد الحق عند بعض المسلمين، وما رآه عندهم من مظاهر الشرك: الأكبر، والأصغر، والخفي، فابتدأ في البصرة جمع هذا الكتاب، وتحرير الدلائل لمسائله، ذكر ذلك تلميذه، وحفيده الشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله- في "المقامات"، ثم إن الشيخ لمَّا قدم نجدا حرر الكتاب، وأكمله، فصار كتابه هذا - بحق- كتاب دعوة إلىٰ التوحيد الحق؛ لأن الشيخ - رحمه الله- بين فيه أصول دلائل التوحيد، وبين فيه معناه وفصله، كما بين فيه ما يضاده، والخوف مما يضاده، وبين - أيضا- أفراد توحيد العبادة، وأفراد توحيد الأسماء والصفات إجمالا، واعتنىٰ ببيان الأكبر والأصغر

وصورهما، والذرائع المؤدية إليهما، وبيَّن ما يُحْمىٰ به التوحيد، والوسائل إلىٰ ذلك، وبين أيضا شيئا من أفراد توحيد الربوبية. فـ "كتاب التوحيد" كتاب عظيم النفع جدا، جدير بأن يعنىٰ به عناية حفظ، ودرس، وتأمل؛ فالعبد محتاج إليه للعمل به، ولتبليغ ما فيه من العلم لمن وراءه من الناس، سواءً أكانوا في المسجد، أم في البيت، أم في مقر عمله، أم في أي جهة أخرىٰ. والمقصود: أن مَن فهم هذا الكتاب فقد فهم أكثر مسائل توحيد العبادة، بل يكون قد فهم جل مسائله وأغلبها.

فلم يكن هذا الكتاب قولاً لفلان أو فلان، أو أنه كلام من عند المؤلف، وإنما هو كلام الله وكلام رسول الله، وكلام أئمة هذه الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المقتدىٰ بهم.

فتأتي أهمية هذا الكتاب من هذه الناحية؛ انه مبني علىٰ الكتاب والسنة من الآيات والأحاديث، فلا يقال: إن هذا كلام فلان، أو كلام ابن عبد الوهاب، بل يقال: هذا كلام الله وكلام رسول الله، وكلام أئمة الإسلام.

نبذة موجزة عن حياة المؤلف[١]

***نسبه:**

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي، من آل مشرفٍ من قبيلة بني تميم المشهورة، وإمام الدعوة السلفية في نجد وغيرها.

***نشأته وعلمه:**

ولد في بلدة العيينة قرب مدينة الرياض سنة ١١١٥هـ، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وتتلمذ علىٰ والده قاضي العيينة في وقته، وعلىٰ غيره من مشاهير علماء نجد، والمدينة، والأحساء، والبصرة، فأدرك علماً غزيراً أهَّله للقيام بدعوته المباركة، في وقت انتشرت فيه البدع والخرافات، والتبرك بالقبور والأشجار والأحجار، فقام -رحمه الله- بالدعوة إلىٰ تصحيح العقيدة وإخلاص العبادة لله وحده، وألَّف عدة كتب من أشهرها هذا الكتاب: (كتاب التوحيد) ، فقد لقي قبولاً عظيماً لدىٰ العلماء والمتعلمين، واعتنوا به دراسةً وشرحاً؛ فهو كتابٌ بديع الوضع عظيم الفائدة، نفع الله به خلقاً كثيراً.

وقد بقي الشيخ طيلة حياته معلماً؛ وداعياً إلىٰ الله تعالىٰ، آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، إلىٰ أن توفي في الدرعية قرب مدينة

---

[١] الملخص

الرياض سنة ١٢٠٦هـ، وقد تخرج علىٰ يده عدد كبير من العلماء وأئمة الدعوة. أجزل الله له الأجر والثواب، وجعل الجنة مثواه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

كتاب التوحيد[١]

قوله: كتاب التوحيد، وقول الله تعالىٰ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}

جرت عادة المصنفين والمؤلفين، أن يضعوا بعد البسملة والحمدلة خطبة للكتاب، يبينون فيها طريقتهم فيه، ومرادهم من تأليفه، وهاهنا سؤال معروف، وهو: لماذا خالف الشيخ - رحمه الله- طريقة المصنفين فلم يجعل للكتاب خطبة يبين فيها طريقته، بل قال: " كتاب التوحيد" وقول الله تعالىٰ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ، فأخلاه من الخطبة؟ والسبب في ذلك، والسر فيه- فيما يظهر لي- أن التوحيد الذي سيبينه الشيخ - رحمه الله - في هذا الكتاب هو توحيد الله - جل جلاله -، وتوحيد الله قد بينه الله - جل وعلا- في القرآن، فكان- لذلك - من الأدب في مقام التوحيد ألا يَجعل فاصلا بين الحق والدال علىٰ الحق وكلام الدال عليه، فالحق الذي لله هو التوحيد، والذي دل علىٰ هذا الحق هو الله - جل جلاله - والدليل عليه هو كلامه، وكلام رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، وهذا من لطائف أثر

---

[١] مقدمة التمهيد

التوحيد في القلب، وهذا كصنيع الإمام البخاري، رحمه الله في صحيحه. إذ لم يجعل لصحيحه خطبة، بل جعل صحيحه مبتدأ بالحديث؛ ذلك أن كتابه كتاب سنة، ومن المعلوم أن من الأدب، أو من مراعاة الأدب: ألا يُتقدَّم بين يدي الله ورسوله، فلم يقدِّم كلامه علىٰ كلام رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، فجعل البخاري صحيحه مفتتحا بقول الرسول صلىٰ الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ» لأن كتابه كتاب سنة، فجعل كتابه في ابتدائه مبتدأ بكلام صاحب السنة -عليه الصلاة والسلام-. وهذا من لطيف المعاني التي يرعاها من نور الله قلوبهم لمعرفة حقه، وحق رسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

قوله: (كتاب التوحيد) التوحيد: مصدر وَحَّدَ يوحِّد توحيدًا، وقد جاء هذا اللفظ (التوحيد) بقلة، وجاء في السنة الدعوة إلىٰ توحيد الله، كما ورد في صحيح البخاري أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل إلىٰ اليمن قال له: «إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه إلىٰ أن يوحدوا الله» فـ"يوحدوا" مصدره" التوحيد "، وفي الرواية الأخرىٰ من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما - الذي فيه قصة بعث معاذ إلىٰ اليمن - وهي في الصحيحين - أنه صلىٰ الله

عليه وسلم قال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله» فدل هذا علىٰ أن التوحيد هو: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن تحقيق هاتين الشهادتين، هو: تحقيق للتوحيد.

وتوحيد الشيء: جعله واحدا، تقول: وَحَّدْتُ المتكلم: إذا جعلتَه واحدا، ووحد المسلمون الله: إذا جعلوا المعبود واحدا، وهو الله – جل وعلا–. والتوحيد المطلوب يشمل ما أمر الله– جل وعلا – به في كتابه من توحيده، وهو ثلاثة أنواع:

١ – توحيد الربوبية.

٢ – وتوحيد الألوهية.

٣ – وتوحيد الأسماء والصفات.

وهذا التقسيم دليله الاستقراء كما نص علىٰ ذلك العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالىٰ حيث قال في تفسيره ((: دَلَّ اسْتِقْرَاء الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ أَنَّ تَوْحِيدَ اللَّه يَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَا م: الْأَوَّلُ : تَوْحِيدُه فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَهَذَا النَّوْع مِنَ التَّوْحِيدِ جُبِلَتْ عَلَيْهِ فِطْرُ الْعُقَلَاءِ.

الثَّانِي : تَوْحِيدُه جَلَّ وَعَلَا فِي عِبَادَتِهِ ، وَضَا بِطُ هَذَ ا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ هُوَ تَحْقِيقُ مَعْنَىٰ" لَا إِلَه إِلَّا اللّه."

النَّوْع الثَّالِثُ : تَوْحِيدُه جَلَّ وَعَلَا فِي أَسمَائِهِ وَصفَاتِهِ.))

وممن أشار إلىٰ هذا التقسيم للتوحيد، جماعة كثيرون من أهل العلم قبل شيخ الإسلام ابن تيمية، خلافا لما يدعيه بعضهم أنه من صنيعه رحمه الله .وممن ورد عنه ذلك : ابن جرير الطبري كما في تفسير قول الله تعالىٰ ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ محمد: ١٩ ، وأبو جعفر الطحاوي كما في [مقدمة عقيدته] ، ا وبن حبان في كتابه [روضة العقلاء] ، وابن أبي زيد القيرواني كما في [مقدمته في العقيدة] ، وابن بطة كما في كتابه [الإبانة .] والقرطبي كما في [تفسيره] ، وابن مندَه كما في كتابه [التوحيد .] ثم جاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ؛ فقرره، وكذا تلميذه ابن القيم فقرره، ثم جاء عن الأئمة بعد ذلك ذكر هذا التقسيم.

وهذه الأقسام أولها:

توحيد الربوبية: فمعناه توحيد الله بأفعاله. وأفعال الله كثيرة، منها: الخلق، والرِّزْق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الملك، والنفع، والضُّر، والشفاء، والإجارة كما قال تعالىٰ في التنزيل: {وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ} [المؤمنون: ٨٨] وإجابة دعوة المضطر، وإجابة دعوة الداعي،

ونحو ذلك من أفراد الربوبية، فالمتفرد بذلك على الكمال هو الله – جل وعلا– فتوحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله – سبحانه–.

ويلزم المؤمن تجاه هذا التوحيد ثلاثة أمور:

١ –أن يؤمن بوجود الله

٢–أن يؤمن بأفعال الله : كالخلق والرزق والنفع والضر، وإفراد الله بها. وإذا وُصف المخلوق بأنه يخلق ؛ يقال للمصورين(أحيوا ما خلقتم)

فإن خلق هذا المخلوق، خلق ناقص وقاصر وليس بخلق تام، وإنما هو تحويل صورة إلى أخرى .أما الله عز وجل فهو يوجد الشيء من عدم.

٣– أن يؤمن بقضاء الله وقدره : لأن ما يجريه الله في الكون، وما يقدره على العباد هو من أفعاله سبحانه وتعالى.

وقد دلت الفطرة على توحيد الربوبية ؛ فكل من كانت فطرته سليمة فإنها تعترف بتوحيد الربوبية .ولم ينكر ذلك إلا مكابر ؛ كفرعون حين ادعى أنه الرب الأعلى، ولكن ذلك مع يقين في

نفسه بتوحيد الربوبية ؛ أن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو المالك، وهو المدبر للكون .وإنما ينكر ذلك ويجحده بلسانه، علوا وظلما وتكبرا ؛ كما قال الله عز وجل ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ وأما جميع الناس حتىٰ المشركون يعترفون بتوحيد الربوبية : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

وأما توحيد الألوهية: فالألوهية مأخوذة من: أَلَه يأْلَه إلهة وأُلُوهةً: إذا عُبد مع المحبة والتعظيم. يقال: تَأَلَّه إذا عُبد مُعَظَّمًا مُحَبًّا، ففرقٌ بين العبادة والألوهة، فإن الألوهة عبادة فيها المحبة، والتعظيم، والرضا بالحال، والرجاء، والرغب، والرهب، فمصدر أَلَه يأْلَه: أُلُوهة وإلهة؛ ولهذا قيل: توحيد الإلهية، وقيل توحيد الألوهية، وهما مصدران لأَلَه يأْلَه.

ومعنىٰ (أَلَه) في لغة العرب: عبد مع المحبة، والتعظيم. والتأَلُّه: العبادة علىٰ ذاك النحو،

فتوحيد الإلهية، أو توحيد الألوهية: هو توحيد العبادة، يعني: جَعْل العبادة لواحد، وهو الله - جل جلاله-، فالعبادة التي يفعلها العبد أنواع، والله - جل وعلا - هو المستحق للألوهة وللعبادة، فهو ذو الألوهة، وهو ذو العبادة علىٰ خلقه أجمعين.

فـ " توحيد " الألوهية: هو توحيد الله بأفعال العبد المتنوعة، التي يوقعها علىٰ جهة التقرب، فإذا توجه بها لواحد وهو الله- جل وعلا- كان موحدا إياه توحيد الإلهية، وإذا توجه العبد بها لله ولغيره كان مشركا في هذه العبادة.

وأما النوع الثالث من التوحيد: فهو **توحيد الأسماء والصفات**، ومعناه: أن يعتقد العبد أن الله - جل جلاله - واحد في أسمائه وصفاته لا مماثل له فيها، وإن شَرِكَ بعضُ العباد الله -جل وعلا- في أصل بعض الصفات فإنهم لا يَشْرَكُونه -جل وعلا - في كمال المعنىٰ، بل الكمال فيها لله وحده دون من سواه، ومثال ذلك: أن المخلوق قد يكون عزيزا، والله -جل جلاله- هو العزيز، فللمخلوق من صفة العزة ما يناسب ذاته الحقيرة الوضيعة الفقيرة، والله -جل وعلا - له من كمال هذه الصفة منتهىٰ ذلك، ليس له فيها مثيل، وليس له فيها مشابه علىٰ الوجه التام، قال -جل وعلا-: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ} [الشورىٰ: ١١] فهذه الأنواع الثلاثة من التوحيد ذكرها الشيخ-رحمه الله- في هذا الكتاب، لكن لما كانت التصانيف قبله اعتنىٰ فيها العلماء- أعني علماء السنة والعقيدة - ببيان النوعين: الأول، والثالث، وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، لما اعتنىٰ العلماء بهما لم يبسط الشيخ- رحمه الله - القول فيهما، وإنما بسط القول فيما الناس أحوج إليه، ويفتقدون التصنيف فيه، وهذه طريقة الإمام - رحمه الله - فإن كتاباته المختلفة، ومؤلفاته المتنوعة: إنما كانت بحسب حاجة الناس إليها، ليست للتكاثر، أو للاستكثار، أو للتفنن، وإنما كتب فيما الناس بحاجة إليه، فلم يكتب لأجل أن يكتب، ولكن كتب لأجل أن يدعو، وبين الأمرين فرق، فالشيخ- إذًا- بيَّن في هذا الكتاب توحيد الإلهية والعبودية، وبين أفراده من: التوكل، والخوف، والمحبة، والرجاء، والرغبة، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، ونحو ذلك، فكل هذه عبادات لله - سبحانه وحده - دون من سواه. ثم إن الشيخ- رحمه الله - لما بسط ذلك بَيَّنَ أيضا ضده وهو الشرك. فهذا الكتاب الذي هو كتاب التوحيد، فيه بيان توحيد العبادة، والربوبية، والأسماء والصفات، وفيه -أيضا - بيان ضد ذلك، وضد التوحيد: الشرك. والشرك معناه: اتخاذ الشريك،

وهو: أن يُجْعَلَ واحدٌ شريكًا لآخر؛ يقال: أشرك بينهما: إذا جعلهما اثنين، أو أشرك في أمره غيره: إذا جعل ذلك الأمر لاثنين: فالشرك فيه تشريك، والله – جل وعلا – نهىٰ عن الشرك، كما سيأتي الكلام علىٰ ذلك – إن شاء الله –.

وقد بين أهل العلم عند كلامهم عن الشرك: أنه بحسب ما دلت عليه النصوص: يُقسَّم إلىٰ قسمين باعتبار، ويقسم إلىٰ ثلاثة أقسام باعتبار آخر؛ فهو إما أن يقسَّم إلىٰ: شرك أكبر، وشرك أصغر. فهذا باعتبار انقسامه إلىٰ قسمين، أو يقسم إلىٰ شرك أكبر، وشرك أصغر وشرك خفي. فهذا باعتبار انقسامه إلىٰ ثلاثة أقسام.

والشرك: هو اتخاذ شريك مع الله– جل وعلا – في الربوبية، أو في العبادة، أو في الأسماء والصفات. والمقصود هنا: النهي عن اتخاذ شريك مع الله – جل وعلا – في العبادة، والأمر بتوحيده – سبحانه–.

التقسيم الأول: وهو تقسيم الشرك إلىٰ أكبر وأصغر، فالأكبر: هو المخرج من الملة، والأصغر: ما حكم الشارع عليه بأنه شرك. وليس فيه تنديد كامل يُلْحِقُهُ بالشرك الأكبر، وعبَّر عنه بعض العلماء بقوله: ما كان وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر، فعلىٰ هذا يكون الشرك الأكبر منه ما هو ظاهر، ومنه ما هو باطن خفي.

فمثال الظاهر من الشرك الأكبر: عبادة الأوثان، والأصنام، وعبادة القبور، والأموات والغائبين. ومثال الباطن: شرك المتوكلين علىٰ المشايخ، أو علىٰ الآلهة المختلفة، أو كشرك المنافقين؛ لأن المنافقين مشركون في الباطن؛ فشركهم أكبر، ولكنه خفي، أي في الباطن، وليس في الظاهر.

وكذلك الشرك الأصغر- علىٰ هذا التقسيم- منه ما هو ظاهر، ومنه ما هو باطن خفي، فمثال الظاهر من الشرك الأصغر: لبس الحلقة، والخيط، وتعليق التمائم، والحلف بغير الله، ونحو ذلك من الأعمال والأقوال. ومثال الباطن الخفي منه: يسير الرياء ونحو ذلك. فيكون الرياء- علىٰ هذا التقسيم أيضا- منه ما هو أكبر كرياء المنافقين الذين قال الله في وصفهم: {يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٤٢] ، ومنه: ما يقع فيه بعض المصلين المتصنعين في صلواتهم؛ لأجل نظر الناس إليهم، ومنه ما هو أصغر كمن يحب التسميع أو المراءات.

التقسيم الثاني للشرك -وهو جعله ثلاثة أقسام-: أكبر، وأصغر، وخفي، وهذا التقسيم يعني به أن الأكبر: ما كان مخرجا من الملة؛ مما فيه صرف العبادة لغير الله- جل جلاله-، والأصغر: ما كان وسيلة

لذلك الشرك الأكبر، وفيه تنديد لا يبلغ به أن يخرج من الإسلام، وقد حكم الشارع علىٰ فاعله بالشرك، وحقيقة الحال: أنه ندد وأشرك.

وأما الشرك الخفي، فهو: كيسير الرياء، ونحو ذلك. وبعض أهل العلم يقول بالتقسيم الأول، ومنهم من يقول بالثاني. والتحقيق أنهما متساويان، أحدهما يوافق الآخر، وليس بينهما اختلاف. فإذا سمعت من يقول: إن الشرك ينقسم إلىٰ أكبر، وأصغر: فقوله هذا صحيح، وإذا سمعت من يقول – وهو قول أئمة الدعوة –: إن الشرك ينقسم إلىٰ أكبر وأصغر وخفي: فهذا –أيضا– قوله صحيح.

فإذا تبين ذلك، فاعلم أن الشرك يعبر عنه بالتنديد، كما قال – جل وعلا –: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} [البقرة: ٢٢] ، «وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم حينما سئل أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندا، وهو خلقك» .

فالتنديد منه ما هو تنديد أعظم، ومنه ما هو تنديد أصغر ليس فيه صرف العبادة لغير الله، فإذا كان التنديد بجعل العبادة لغير الله: صار التنديد شركا أكبر، وإذا كان التنديد بجعل غير الله –جل وعلا – ندا لله في عمل، ولم يبلغ ذلك الشرك الأكبر: فإنه يكون تنديدا أصغر، وهو المسمىٰ بالشرك الأصغر،

فهذه مقدمات، وتعريفات، وتنبيهات، جعلتها بين يدي شرح هذا الكتاب لأهميتها، ولمسيس الحاجة إليها. والله أعلم.

أهم شروحات كتاب التوحيد

- **تيسير العزيز الحميد** في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله تعالىٰ).
- **فتح المجيد** شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله تعالىٰ).
- **القول المفيد** علىٰ كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله تعالىٰ).
- **التعليق المفيد** لفضيلة الشيخ ابن باز رحمه الله
- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد** للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (حفظه الله تعالىٰ).
- **إعانة المستفيد** للشيخ فوزان حفظه الله
- **قول السديد** للإمام السعدي رحمه الله
- **حاشية كتاب التوحيد** للشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله
- **الجديد في شرح كتاب التوحيد** للشيخ محمد القرعاوي
- **التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد** للشيخ عبد الله الدويش

ثناء العلماء عليه

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ -رحمه الله-: هو كتاب فرد في معناه لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق.

***وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله-:** ليس له نظير في الوجود، وقد اشتهر الكتاب وعم نفعه، وكثرت شروح العلماء عليه، وسارع الطلاب إلىٰ حفظه.

***ومن ذلك يقول العلامة المؤرخ ابن بشر (ت١٢٩٠) ـ**

رحمه الله: "ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه، فإنه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد" (عنوان المجد ... ج١/ ٩٢)

***ووصفه الشيخ سليمان بن حمدان** بقوله: "كتاب بديع الوضع عظيم النفع، لم أر من سبقه إلىٰ مثاله أو نسج في تأليفة علىٰ منواله، فكل باب منه قاعدة من القواعد ينبني عليها كثير من الفوائد، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه دينا فلا يتاب منه ولا يستغفر، فألفه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذاك الداء كالدواء النافع" (الدر النضيد علىٰ أبواب التوحيد)

***وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب**

- رحمه الله - : " جمع علىٰ اختصاره خيراً كثيراً ، وضمّنه من أدلة التوحيد ما يكفي من وفقه الله ، وبيَّن فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفره الله

***وقال الشيخ عبدالله البسام (ت١٤٢٣) ـ رحمه الله ـ في " علماء نجد " (١/ ١٤٩) عن "كتاب التوحيد " :** "هو من أنفس الكتب ولم يصنف علىٰ منواله " .

***وقال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في كتابه " إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد " (١/ ١٨) :** "هذا الكتاب من أنفس الكتب المؤلفة في باب التوحيد؛ لأنه مبني علىٰ الكتاب والسنة ... " .

***وقال الشيخ مقبل الوادعي - رحمه الله - ، في كتابه " المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح " (ص١٣٨) :** " ومن الكتب القيمة التي لا يستغني عنها مسلم ، كتاب " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " ، للشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالىٰ.

***وقال أيضاً في المرجع السابق (١/ ١٢) :** " هو من أعظم مؤلفات الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب "

أهم المراجع

- إعانة المستفيد
- التمهيد
- ملخص التوحيد
- القول المفيد
- شرح الشيخ عبد الباسط الريدي(مفرغ)
- تحقيق الشيخ ردمان الحبيشي
- أصول وآداب طالب العلم(الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى)بتصرف
- منهجية طالب العلم للشيخ أبي حاتم سعيد بن دعاس رحمه الله
- كتاب العلم – للعثيمين رحمه الله
- تذكرة السامع والمتكلم للإمام ابن جماعة رحمه الله
- أدب الطلب للشوكاني رحمه الله
- نضرة النعيم

تمت في ليلة الجمعة ٤ -رجب -١٤٤١ هـ

دار القرآن والحديث بحصوين –المهرة

ولله الحمد والمنة

مقدمة مفيدة في دراسة

كِتَابِ التَّوْحِيدِ

وشيء من أصول التعلم وآدابه

دار القرآن والحديث بحصوين. المهرة - اليمن